تعليم المرأة

● **الإسلام وتعليم المرأة :**

لم تكن للإسلام أية تحفظات فيما يتصل بتعليم المرأة ، وأشد العلماء محافظة فى المشرق لم يمتنع عن إجازة تعليم ذخائر السنة لهن ، وهو علم ذو قداسة خاصة ، ولدينا شواهد على وجود أستاذات بلغن ثلاثا وأربعين امرأة فى كتاب واحد من كتبها ، وكان يدرس فى أشهر المدارس[1] ، ولدينا السلفى ، أحمد بن محمد ، وهو عالم إسبانى اتخذ من مدينة الإسكندرية مقاما ، « وصارت له بها وجاهة » ، ودخل العراق والشام وبلاد الجبل وخراسان ومصر والحجاز ، وأعجب به علماء إسبانيا وطلابها أيما إعجاب ، وشيوخه كثرة يزيدون على الألف ، والنساء بينهن عدة ، وبعض أصحابه جمع أسماءهن على حروف المعجم .

وقد اشتهرت فى مكة مدرسة **كريمة المروزية** العظيمة ، وبرز تعليم المرأة فى هذا المركز الدينى العظيم ، ويجب أن يكون من أشد الأمكنة محافظة ، أكثر من أى مكان آخر ، واحترام المرأة يمكن أن يفسر لنا كثيرا من العادات التى تخلفت عن الحضارات القديمة ، وبدل أن يكون هذا مدعاة للخجل كانت الطالبات يذهبن إليها من أمكنة بعيدة ، ليكون لهن شرف حضور دروسها ، وبعض الشخصيات الأندلسية التى تنتسب فى أسر عريقة تتلمذت على هذه السيدة العالمة الجليلة ، وحرصوا على أن يذكروها بين أسماء أساتذتهم الأكثر شهرة وتقديرا[2] .

● **شيوع تعليم المرأة فى أسبانيا :**

أما هنا فى إسبانيا فثمة أسباب أقل مما كانت عليه فى البلاد الأخرى يمكن أن تقف عائقا دون تقدير تعليم المرأة ، ولأن هذا كان عاديا لا نجد شواهد متميزة تلمح إلى عظمته وندرته ، وتومئ إلى الاحترام لمن تتوفر فيها هذه الصفات ، وعلى أى حال فنحن

---

(١) فهرسة ابن خير ، ص ١٤٣ .

(٢) ابن بشكوال ، التراجم ٢١٨ ، ٢٩٩ ، ٣٩٢ ، ٧٢١ ، ٨٧٦ ، ٩٤٤ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٩ . والمعجم لابن الأبار ، الترجمة ١٧ ، طبعة مدريد .

نعرف أمير من الأسرة المالكة ، يدعى **دحون** ، حبيب بن الوليد ، رحل إلى المشرق ، وحج ، ولقى أهل الحديث فكتب عنهم ، وقفل بعلم كثير ، وهناك التقى بجارية سوداء ، حالكة اللون ، من رقيق المدينة ، تعرف باسم **عابدة المدينة** ، تروى عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة وغيره عشرة آلاف حديث ، فأعجب بذكائها ، وفتنته مواهبها العلمية ، ولم تمنعه رقة مولدها ، ولا اختلاف جنسها ، من اتخاذها زوجة له ، ورزق منها بابنه بشر ، ويعرف بالحبيبى ، وهو من المشهورين فى قرطبة ، وبنته عبدة مشهورة أيضا ولها رواية عنه[1] .

وكانوا يبعثون بالفتيات إلى المدارس الأولية منذ الصغر ، لكى يتعلمن نفس المواد التى تدرس للصبيان عادة[2] ، وبعضهن فيما بعد كن يواصلن التعليم العالى ، ويحصلن على نفس الإجازات التى يحصل عليها الرجال عادة[3] ، وبعضهن يدرسن الفقه ، والقراءات ، والسنة[4] ، وهى دراسات كان بعضها يؤهل صاحبه لأن يحترف التعليم ، ويمارسه كمهنة نبيلة[5] ، وأخريات يدرسن الأدب ومواد أخرى يمكن أن تنفعهن أحيانا لكى يتبوأن مناصب فى ديوان الكتابة الملكية ، إذا كانت خطوطهن جميلة ، أو يجدن التحرير فى لغة أدبية راقية[6] ، ولم يكن عدد اللائى تميزن كشاعرات وأديبات قليلا ، وبعضهن مثل **عائشة وولادة** نافسن أشد الرجال شهرة فى عصرهن بذكائهن ، وبلاغتهن ، ومهارتهن فى الشعر وغيره[7] .

وبلغ تعليم المرأة حدا واسعا من الانتشار يمكن أن نستنتجه مما ذكره **ابن فياض** فى تاريخه **أخبار قرطبة** ، قال : « كان بالربض الشرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى ، هذا ما فى ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها ؟ »[8] .

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، جـ١ ص ٨٠٢ ، طبعة أوربا ، و٢/٥٠٤ و٣/١٤٠ ، طبعة احسان عباس .

(٢) انظر الملحق الخاص بالوثائق فى آخر الدراسة ، حيث يستعمل صيغة « ابن » أو « ابنة » للتمييز .

(٣) ابن بشكوال ، الترجمة ١٤٢٠ ، والضبى ، الترجمة ١١٨٥ ، طبعة مدريد .

(٤) ابن بشكوال ، الترجمة ١٤١٩ ، والضبى ، الترجمة ١١٨٥ .

(٥) الاحاطة ، جـ٣ ، الورقة ١٥٦ ، مخطوطة الاسكوريال .

(٦) ابن بشكوال ، الترجمة ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، طبعة مدريد .

(٧) المصدر السابق ، الترجمة ١٤١٦ ، ١٤١٨ .

(٨) عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى أخبار المغرب ، ص٢٧٠ ، طبعة ليدن ، ٣٧٢ طبعة سعيد العريان ، الأولى .

وتزاحم الطلاب على الدراسة جعل المرأة أيضا تقبل عليها ، وتفتح المدارس وتلقى فيها الدروس كما يصنع الرجال ، وكان لبنى حزم[1] . وهى أسرة اشتهرت بالأساتذة ، مدرسة من أشهر مدارس قرطبة ، يدرس فيها الأب للصبيان ، والابن للفتيان ، والبنت للفتيات . وكان ذلك فى القرن الثالث الهجرى تقريبا عندما نبتت الرغبة القوية فى الدرس ، ولكنها كانت فى أول خطاها .

وفيما بعد بلغت المرأة المسلمة فى إسبانيا قدرا عاليا من التعليم ، والتقدير الرفيع ، يمكن أن يقارن مع أكثر النساء تعليما بين الشعوب القديمة ، دون تفرقة بين جنس الفتيات ، فحتى النساء السوداوات أو السودانيات اللائى عشن فى الأندلس يمكن أن نتخذ منهن مثلا للمرأة الإسبانية المسلمة المتعلمة[2] . وأشير من بينهن إلى **إشراق** ، وعرفت بين العامة باسم **العروضية** ، وظن **سيمونيت** Simonet فى دراسته عن « المرأة العربية الإسبانية » أنها من سكان إسبانيا الأصليين ، ولكن **ابن الأبار** المؤرخ ، وعاش فى نفس المدينة كانت تعيش فيها هذه المرأة العالمة ، يذكر فى صراحة حاسمة فى كتابه **تكملة الصلة** ، أنها كانت جارية سوداء[3] .

ولم يقف نشاطهن عند حد الدراسة فى إسبانيا فحسب ، وإنما رحلن إلى الخارج ليدرسن كالرجال سواء بسواء . فقد ذهبت **خديجة** بنت أبى محمد عبد الله **الشنتجيالى** ، إلى المشرق مع أبيها ، وحضرت معه فى مكة نفس الدروس التى حضرها ، وسجلت فى الإجازات التى شهد بها الأساتذة لصالحها[4] ، وفى المشرق درست أيضا فاطمة بنت سعد الخير بن محمد ، ذهبت إليه رفقة والدها ، وحضرت دروس كبار علمائه[5] ، ورحلت **راضية** مولاة عبد الرحمن الناصر ، وقد **أعتقها الحكم** من أبيه ، وتزوجها لبيب الفتى ، من رجال قصر الخلافة ، وحجا معا ، وكانا يقرآن ويكتبان ، ولقيت عددا من العلماء ، ونسخت مجموعة من الكتب حافظ عليها الورثة من بعد ، كنسيج من الذهب ،

---

(١) على التأكيد غير أسرة ابن حزم الأندلسى الشهير ، والتى تحمل اللقب نفسه ، ويتردد اسمها كثيرا فى تاريخ الأندلس .

(٢) ابن الأبار ، التكلمة ، الترجمة ٣١٢ .

(٣) المصدر السابق ، الترجمة ١٥٤٨ ، ٢١١٥ .

(٤) ابن بشكوال ، الترجمة ١٥٣٩ ، طبعة الدار المصرية .

(٥) التكملة لابن الأبار ، الترجمة ٢١٢٣ ، طبعة مدريد .

وقدرها على نحو عظيم صفوة تلاميذها فى إسبانيا ، وامتد بها العمر طويلا ، فتوفيت فى حدود سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وقد نيفت على مائة عام بنحو سبعة أعوام[1] .

ولو أن بعض النساء حققن امتيازا فى كل الدراسات التى اختص بها الرجال ، فتميز بعضهن فى علم التوحيد[2] ، إلا أنهن بعامة اتجهن إلى تلك المواد التى اعتقدن أنها أكثر مناسبة لهن ،وتجعل من المرأة أكثر لطفا ، على نحو ما يحدث فى كل العصور ، مثل الأدب ، والشعر ، والموسيقا بخاصة . وفى رواية قصيرة ترجمها عن العربية إلى القشتالية (= الإسبانية) أحد الموريسكيين ، وتعرضت على نحو ما لعادات العصر الذى كتبت فيه ، تقدم لنا شخصية زوجين من خاصة أهل قرطبة ، وتعليم الزوج ، طبقا لها ، يتمثل فى أنه « درس كل العلوم : الموطأ ، والبخارى ، والمنطق ، والفلسفة ، وكتب الطب ، والفقه ، والوثائق ، وكل شىء خط على الورق » على حين أن الزوجة « تعزف على العود ، والرباب ، والأرغن ، وآلات أخرى ، لتجعل من زوجها رجلا سعيدا »[3] .

● **رأى ابن رشد ومناقشته :**

ومع ذلك ، إذا نظرنا إلى الأمر من أعلى ، حيث تعود الفلاسفة أن يجلسوا أحيانا لكى يتأملوا قضايا هذا العالم فسوف نجد هذه الحقيقة بغيضة إليهم ، يقول **ابن رشد** : ظروفنا الاجتماعية لا تسمح لنا أن ندرك كل ما تستطيع المرأة أن تقوم به ، وفيما يبدو لى إنها لم تتهيأ لغير إنجاب الأبناء وتربيتهم . وهذه الحالة من العبودية دمرت كفاءتها للقيام بالمهام العظمى التى يمكن أن توكل إليها ، ومن ثم لا نرى بيننا أية امرأة تتمتع بمواهب فكرية عالية ، وحياتها تمضى كالشجر ، وقف على رعاية زوجها ، ومن هنا يجىء الشقاء الذى يفترس مدننا ، لأن النساء مثلى الرجال عددا ، ولا يستطعن القيام بما هو ضرورى ، ليعشن عن طريق العمل[4] .

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة ، الترجمة ١٥٣٤ ، طبعة الدار المصرية .

(٢) التكملة ، الترجمة ٢١٢٢ .

(٣) نصوص عجمية ، نشرها : خيل ، وريبرا ، وسانتشيث ، ص٩٩ و١٠٥ .

● الموريسكيون هم المسلمون الذين تخلفوا فى الأندلس بعد سقوط دولة الإسلام ، فى يناير ١٤٩٢ ، ثم أكرهوا فيما بعد على اعتناق الكاثوليكية ، وحين شك الإسبان فى احتفاظهم بالإسلام سرا تقرر طردهم نهائيا عام ١٦١٣ . (المترجم) .

(٤) نقل المؤلف النص عن كتاب ابن رشد والرشدية للمستشرق الفرنسى رينان ، وكلاهما لم يشر إلى المصدر الأصلى الذى اعتمد عليه ، ولذلك ترجمته عن نصيه الإسبانى والفرنسى .

والشيء نفسه يمكن أن يقال الآن ، وبخاصة من أولئك الذين يرون فى اقتصار الأشخاص الأذكياء الجادين على إنجاب الأولاد ، ورعايتهم ، وتربيتهم ، أمرا غير جدير بالاعتبار ، ولا يرون العظمة والنبل إلا فى الانصراف كلية إلى هذه التأملات العالية ، والتى نبلغها عن طريق العلم ، وهو يحتقر التفاوت الطبيعى .

وحين يلقى ابن رشد مسئولية شقاء إسبانيا الإسلامية على المرأة ، لا يقنع بمجرد الملاحظة المعتدلة ، وإنما يتجاوزها فيصبح ظالما ، وقليل اللطف مع النساء . ألم يكن الرجال هم الذين ظلوا يتقاتلون فى حروب أهلية على امتداد قرنين من الزمان ، دون هدنة ، إلا تلك اللحظات التى يحتاجونها ليستجمعوا قواهم ، ويذهبون ليدافعوا عن أنفسهم ضد أعداء مشتركين ، أو تلك الهدنة المخجلة التى تفرضها الشعوب الأفريقية ؟ أية مدينة حينئذ كان يتأتى لها أن تصنع المعجزة ، وأن تتحرر إذ ذاك من الشقاء ؟ .

* * *

لقد ظلت هذه المبادأة الخاصة يقظة طوال المرحلة التى درسناها ، دون أن تغفل أبدا ، أو أن تثق فى عناية الحكومات .

لقد بدأ التعليم متواضعا ، بمواد محدودة وواهنة ، وحتى هذه كان يستعيرها الإسبان من المشرق ، ونمت على مهل ، ورفضت المذاهب الجديدة ، ورأت فيها عائقا ، ولكن هذه المياساطة نفسها ، إلى جانب التمهل ، سمحت لها بأن تنتشر ، وأن تضرب بعيدا ، وعميقا ، بين كل الطبقات الاجتماعية ، وقدمت لها قاعدة عريضة كى تنهض عليها دراسات جديدة ، وربما إلى الصفات نفسها يمكن أن نرد القوة والصلابة التى برهنت عليها فيما بعد ، عندما قاومت التغييرات العنيفة التى تعرضت لها أمكنة أخرى . ولقد تغيرت الأسر الحاكمة ، وتجددت الآراء ، وتنوعت أعمال الحكومات ، وتحركت الثورات والفتن والحروب ، ولم يصنع كل هذا أكثر من دفع الأمواج والرغاوى الظاهرية إلى السطح ، على حين واصل العلم سيره وراء ذلك فى العمق ، ولم يتوقف نموها التقدمى أبدا . وتمزقت الإمبراطورية الإسبانية الإسلامية ، وحدثت فتن أهلية ، وتعرضت لغزو أجنبى ، وعانى كل شيء فى إسبانيا ، ولكن التعليم ، فيما يبدو ، تميز فى كل خطوة بأنه أكثر رفعة ، وأشد قوة ، وأقوى تماسكا . وحين مد مسيحيو الشمال غزوهم ، وافتقرت السلطة فى الدولة الإسلامية ، ووهنت قوتها ، بقى التعليم متماسكا ، وحتى حين لم يبق له من الأرض غير شبر لكى تمتد جذوره عميقا نبت عليه ، وامتد بعيدا ،

وأزهر فى أراض أجنبية ، اقتطفت الهدية سعيدة وحريصة ... إنها الثمرة الحلوة للعمل العلمى .

وانهارت الدولة الإسلامية فى إسبانيا ، ولم تكن وحيدة فى تعاستها ، وإنما رافقتها الشعوب المجاورة ، وفيها انعكست عظمتها واضحة وساطعة ومع غروب شمس الأندلس أشرق فجر أفريقيا لعدة سنوات ، ثم بدا يغرب رويدا رويدا ، إلى أن غرقت أخيرا فى ضباب كثيف ، لم تستطع أن تخرج منه حتى الآن .

لقد أحاطت بعبقرية إسبانيا الإسلامية إذ ذاك هالة من النور ، تستأهل أن نذكرها الآن ، وأن نتخذ منها مثلا وقدوة ، لكى نتبارى جميعا ، أساتذة وطلابا ، فقد استطاع وطننا يوما ، دون مساعدات ولا عون رسمى ، أن يصبح بالاجتهاد وحماسة أبنائه فحسب أستاذا عظيما للغرب بأكمله !

ملحقات :

١ – مدرسة ربض المسلمين[١] في سرقسطة

خاتمة مجلد يجمع عددا من الكراسات نسخها التلميذ **شبطون الطيرولى** de Teruel في مبنى جامعة المدجنين[٢] ، فى الحى العربى Moreriaمن مدينة سرقسطة ، فى العشر الأوائل من ربيع الآخر ماضية التى كان يملكها بابلو خيل ، الورقة رقم ٥١ .

وإليك صورة هذه الوثيقة :

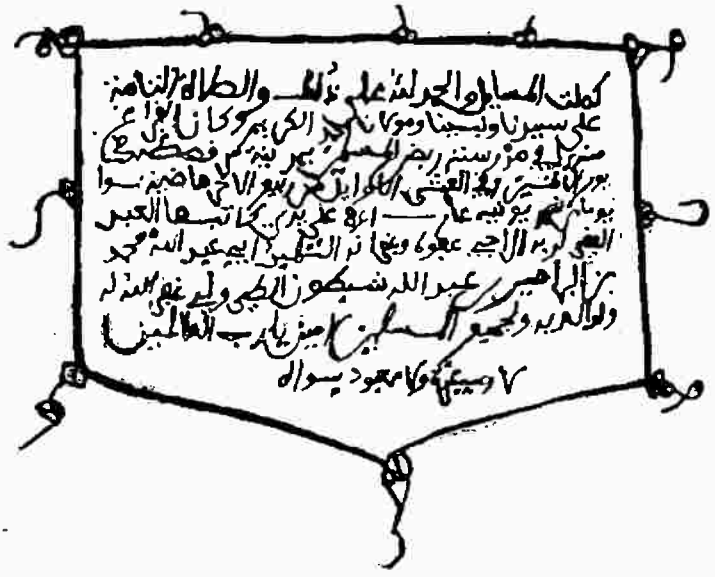

(١) عناوين الملحقات كلها من وضع المترجم .

(٢) المدجنون : المسلمون الذين تخلفوا فى البلاد الأندلسية بعض سقوطها فى يدد النصارى ، واحتفظوا بلغتهم ودينهم .

وهذا هو نصها[1] :

كملت المسايل ، والحمد لله على ذلك ، والصلاة التامة على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الكريم . وكان الفراغ منها فى **مدرسة ربض المسلمين** بمدينة **سرقسطة** فى يوم الاثنين ، وفى العشر الأوائل من ربيع الآخر ماضية – ١٩ يوما من شهر يونية – ٨٥١ على يدى كاتبها العبد الفقير لربه ، الراجى عفوه وغفرانه : التلميذ أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن شبطون الطيرولى ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين . آمين يا رب العالمين ، لا رب غيره ، ولا معبود سواه .

٢ – جواب من طالب إلى أستاذه

رسالة كتبها فى **سرقسطة** التلميذ **محمد قلبارة القرشى** وتوجه بها إلى أستاذه **أبى عبد** الله الغازى فى بالجيط (ربطة حرف) من مجموعة جمعية الدراسات ، رقم ١ :

« **الحمد لله وحده** ،

سيدى وسندى ، وعزى وإجلالى ، ومحل تعظيمى واشتياقى ، الذى محبته ممزوجة بلحمى ودمى ، وشوقة روايته مغروسة فى قلبى وشراسيفى ، ذلكم السيد الفقيه المكرم ، والأستاذ الماهر المعظم : **أبو عبد الله محمد الغازى** ، أكرمه الله وتولاه ، وجعل الجنة منزله فى أخراه ، برحمته وجوده ، إنه منعم كريم .

« سلام كريم ، مقدس عميم ، يعتمد سيادتكم ، ورحمة الله وبركاته من معز حرمتكم ، وموجب خدمتكم ، أصغر عبيدكم ، **محمد القرشى** ، المعروف **بقلبارة** » .

« أما بعد ، فقبضت كتابكم الأنير وفهمت متضمنه ، لكن مقصود رسالتكم الكريمة ، التى هى الرغبة الأكيدة أن أبعث لكم **شروحات وثائق الجزيرى** ، لكن رغبتكم إلىّ معذورة ، لأننى لافعل (هكذا) عنكم شيئا ما احتاج رغبة من جانبكم ، لأن بالأمر منكم كنت ملتزما أن أفعله ، فضلا عن أن ترغبونى . فوالله الذى لا إله إلا هو ما كانت الشروحات عندى منسوخة إلا فى رقاع متفرقات ، وكانت فى بلدى تلك الرقاع ، وأكون الآن ألوم نفسى لسفهى ، وغلظ طبعى ، بتركها فى الرقاع بغير نسخ ، وكيفما

(١) حافظت على الخصائص الإملائية واللغوية للرسائل والنصوص حتى ولو كانت خاطئة « المترجم » .

كان أنى أجتهد فى نسخها إذا جاء محمد بن يوسف[1] ، أطلب منه الشروح المذكورة لأنتسخ منها نسخة ، وأرسلها إلى علية مجدكم ، إن شاء الله ، وإن كان معى أشغال أتركه لأجل خدمتكم .

« أما من شروحات الخطب فلم أقبضها بعد ، لكن كل يوم أرغب وأرسل رسالة لقرطبى أن يبعثها إلىّ ، وكما كان رجل من قلة عهد وأمان ما يفعل شيئا برسالتى ، كان حلف بالله أنه إذا بلغ **لتطيلة** أنه يرسلها إلىّ بلا شك ، ومضى شهران ولم يرسلها .

« أما من جواد فضلكم إلى السؤال عن حالى ، وعن كيفية تعليمى فى مقصودى ، فأخبركم كيف أكون صحيحا فى الحال ، الحمد لله ، وفرغت الآن من قراءة **شرح أرجوزة ابن سيناء** ، وبدأت بقراءة **الكتاب الأول من القانون** مستعينا بالله ، وكنت أجتهد وأتعب ليلا ونهارا لأنال مقصودى ، لأن الكتاب المذكور كان يتكلم فى كليات الطب ، وكليات الطب كانت معرفة حد الطب ، والمزاج ، والأركان ، والطبائع ، ومعرفة الضروريات من المأكل والمشرب ، والنوم واليقظة ، والحركة والسكون ومعرفة المرض والعرض والسبب ، وغير ذلك من أشياء كثيرة لا تحصى ، وكل ذلك كان من أدق هذا العلم ، لأنه كان يتكلم منطقيا وفلسفيا ، وكل ما كان كذلك لا ينال إلا بجهد وتعب ، فكان واجبا علىّ أن أتعب ليلا ونهارا لأنال مقصودى ، وأرغب إلى الله أن يعيننى على نيل مقصودى ، أو على ما يكون أعبد وأحمد .

« وأما قولكم أن وسع الزمان أن أجتهد فى زيارتكم ، لأنكم مشتاقون لرؤيتى ، فإنى والله لأشد شوقا لرؤيتكم وخدمتكم ، فإن وسع الله فى الزمان أنا زايركم إن شاء الله .

« أرغبكم أن تبلغوا السلام عنى على الطاهرة الزكية حليلتكم ، وعلى أولادكم ، وعلى جميع تلاميذكم وسائر من تحوطه رعيتكم ، والسلام عائد عليكم ورحمة الله وبركاته .

المقبل أيديكم وأرجلكم ، أصغر تلاميذكم :

محمد قلبارة من سرقسطة

كتب يوم الاثنين الثانى عشر لينير عام ٩٠٠ (هجرية) .

عنوان الجواب :

فى بالجيط

---

(١) طى الورقة جعل هذه الكلمة غير واضحة فى الأصل .

يدفع بيدى سيدى وسندى ، وعزى وإجلالى ، ومحل تعظيمى واشتياقى ، الذى محبته ممزوجة بلحمى ودمى ، وشوقة روايته مغروسة فى قلبى وشرا سيفى ذلكم الأستاذ المكرم ، والعالم المعظم ، أبو عبد الله محمد الغازى ، أكرمه الله .. مرغوبة .

٣ – صيغ العقود بين المدرسين وأولياء أمور التلاميذ

صيغة عقد بين مدرس ووالد تلميذ ، أو ولى أمره ، كما وردت فى الجزء الثانى من **كتاب الوثائق والمسائل المجموعة** ، لمؤلفه أبى **عبد الله** بن عبد الواحد البونطى .

(المخطوطة رقم ١١ من المجموعة نفسها ، الورقة رقم ١٠٠) .

● **وثيقة استيجار معلم القرآن**[1] :

استأجر فلان بن فلان ، فلان بن فلان المعلم ، ليعلم ابنه فلانا ، أو ابنته فلانة ، أو بنيه فلانا وفلاما وفلانا القرآن ، نظرا أو ظاهرا ، والكتب والخط والهجاء عاما ، أوله شهر كذا ، من سنة كذا ، وبكذا وكذا دينار ، صفة كذا ، يودى إليه كل شهر ما ينوبه منها ، وذلك كذا وكذا ، ويدفع إليه فى كل شهر ، فى أوله ، من دقيق القمح الطيب الريون[2] ، الجيد الطاهر ، ربعين أو ثلاثة بوزن كذا ، ومن الزيت نصف ربع من زيت الماء الطيب الأخضر بكيل كذا . ويشرع المعلم فى التعليم المذكور وعليه الاجتهاد ، ثم يكمل الوثيقة .

« فإن اشترط عليه فى الأعياد شيئا ذكرت ذلك وقلت : ويدفع إليه فى عيد الفطر كذا ، وفى **عيد الأضحى** كذا ، ويعطيه عند حذقة الصبى فلان القرآن كله كذا شهد » .

● **ويعقد فى ذلك أيضا على ما عقده موسى بن أحمد فى تعليم القرآن كله :**

« استأجر فلان بن فلان ، فلانا المؤدب بكذا وكذا دينارا ، من صفة كذا ، قبضها فلان المعلم ، ليعلم ابن فلان هذا ، المسمى كذا ، جميع القرآن ، وقد عرف فلان هذا المستأجر هذا الصبى ، ووقف على مقدار نباهته . شهد ، وله فى الأجر لأمر معلوم » .

---

(١) هذا العنوان الفرعى ، وكل العناوين الفرعية الأخرى ، من عملى أنا (المترجم) .

(٢) هذه الكلمة ليست عربية ، وأظنها الكلمة الإسبانية Royon أو Rubion ومعناها : الأشقر . « المترجم » .

● **صيغة عقد آخر :**

« استأجر فلان بن فلان ، فلان بن فلان بكذا وكذا دينارا ، دراهم قبضها منه ، ليعلم له ابنه فلانا سنة ، أولها شهر كذا ، عن سنة كذا ، القرآن . شهد » .

● **حكم تعليم غير القرآن :**

« فإن استأجره ليعلمه الكتب تدون هذا النحو . ولا تجوز الأجرة على تعليم الفقه والفرائض والنحو والشعر والعروض ، وكره بيع كتب ذلك ، وروى **ابن حبيب** أنه جائز وقال ابن حبيب فى تعليم الشعر أيضا أنه جائز إذ أشعار العرب القديمة التى هى فيها مفاخرهم وذكر شعرهم ، والشعر ديوان العرب ، ما لم يعلمه ذكر الهجاء والقبيح من الكلام ، إذ لا يجوز تعلم ذلك » .

● **تحديد الأجل فى العقد :**

« وقال **محمد بن عبد الله** : لا بأس أن يشارط الرجل المعلم على تعليم ولده الشعر والنحو والرسائل وأيام العرب ، وما أشبه ذلك من علم الرجال ذوى المروءات ، سميا فى ذلك أجلا أو لم يسميا .

« وقيل **لأصبغ** : كيف جوزتم الشرط على تعليم الشعر والنحو والرسائل إذا لم يسميا لذلك أجلا ، وهو مما ليس منتهى منه إلى حد معروف ؟ . فقال : هو عندنا بمنزلة ما أجاز **مالك** من الشرط على تعليم الخياطة والحبر ، وما أشبه ذلك من الصناعات ، فإذا بلغ من ذلك مبلغ أهل العلم من الناس وجب فى ذلك حقه . ولا بأس يأخذ الأجرة على تعليم المسلم الكتب والقرآن ، ولا بأس بالاستيجار فى ذلك سنة وسنتين مشاهرة ، ولا بأس بتقديم الأجرة فى ذلك إلى المؤدب ، ولا بأس بمشارطة المؤدب على تعليم القرآن كله أو نصفه ، أو ما ذكراه ، نظرا وظاهرا . سميا فى ذلك أجلا أو لم يسميا ، كذلك قال **مالك** وغيره » .

« قال **محمد بن أحمد** : وإن لم يعرف قدر نبل الصبى من بلادته » .

« وقال **محمد بن عبد الله** : إنما يجوز توقيت الأجل مع شرط تعليم القرآن كله إذا كان التوقيت غير ضيق ، فإن كان ضيقا يرى ويخشى أنه لا يبلغ ذلك فيه لم يجز ، لعاقبة الغرور والمخاطرة . وأما إذا وقتا وقتا يفرغ فى مثله ما شرط على المؤدب فلا بأس بذلك ، فإن تأخر عن الأجل أعطى أجرة مثله فيما علمه تلك السنة ، لا على حساب الأجرة الأولى ، كذلك قال **أصبغ** » .

● **هدايا الأعياد :**

« ولا تحكم للمعلم بشيء فى الأعياد ، إلا إن اشترط من ذلك شيئا معروفا فيكون له ما شرط . واختلف أهل العلم فى الحذقة ، **فأبو إبراهيم اسحاق بن إبراهيم** عن بعض أهل العلم لا يوجبها حتى يشترط ذلك ، وغيره يقول يحملان على سنة أهل البلد ، ويأخذ فيما قد عرف الحذقة فيه من أجزاء القرآن على قدر غناء والد الصبى وحاله ، ويقضى عليه بذلك للمعلم ، وقيل لا حذقة له إلا فى القرآن كله ، فإن اشترط المعلم فلابد من تسمية شيء معروف ، وإلا لا تجز الأجرة . ويجوز لوالد الصبى أن يشترط ألا حذقة عليه مع الأجرة » .

● **انفساخ العقد :**

« وإذا مات الصبى انفسخت الإجازة فيما بقى ، والإجازة تنتقض بموت المستأجر ، ولا تنتقض بموت المستأجر له . كالاستيجار لرعاية الغنم وشبه ذلك ، إلا فى أربعة أشياء : الظئر[1] ، والمعلم ، والرائض للدواب ، وفحل النزو ، فإنها تنتقض بموت المستأجر ، والمستأجر له ، وذلك لاختلاف الرضاع من الصبيان المراضع ، ولاختلاف النبل والبلادة ، واختلاف صعوبة الدواب » .

● **الانقطاع والمرض :**

« وإذا غاب الإمام أو المؤدب إلى بعض حاجته ، أو إلى باديته ، الأيام الجمعة ونحوها ، فلا بأس بذلك ، فإن طال مغيبه كان لأهل المسجد توقيف الإمام عن ذلك ، والمعلم منعه منه، ولا يحط من أجرته شيء. وكذلك إن مرض الأيام اليسيرة، وإن طال مرضه أو مغيبه انحط من أجرته ما تقع منها على أمد مغيبه أو مرضه . وإن غيّب الصبى أبوه أو وليه وشغلاه ، فللمعلم الأجرة تامة . فإن مرض الصبى مرضا طويلا انحط من الأجرة بقدر مرض الصبى . انتهى » .

● **وثيقة استئجار مؤدب فى النحو والأدب :**

« وثيقة استيجار مؤدب عربية **لمحمد بن عبد الله** :

استأجر فلان بن فلان ، فلان بن فلان المؤدب ، لتعليم ابنه فلان سنة ، أولها شهر كذا من سنة كذا ، النحو ، ويملى عليه الرسائل ومخاطبات البلغاء ، وتوقيعات الأمراء ،

---

(١) المرضعة لغير ولدها (المترجم) .

ويرويه من الشعر الجاهلى والإسلامى الشعر الحسن ، السليم من وصف الخمر والخنا وقبيح الهجاء ، بكذا وكذا ، دفع فلان شطر هذه العدة إلى المؤدب فلان ، وقبضها منه ، وأبراه منها ، فإذا انقضت السنة المذكورة دفع فلان بن فلان إلى فلان بن فلان باقى أجرته بلا تكدير ولا مطل إن شاء الله .

« شهد عليهما بذلك من عرفهما ، وذلك فى تاريخ كذا ، انتهى » .

٤ – عقد مشاركة بين مدرسين لفتح مدرسة

صيغة وثيقة لعقد مشاركة بين مدرسين لفتح مدرسة ، (الورقة ١٣٤ من المصدر السابق ، نفس الكتاب ونفس الجزء) :

وثيقة شركة المعلمين : أشهد فلان بن فلان ، وفلان بن فلان أنهما اشتركا فى تعليم القرآن والكتب ، على أن يقعدا لذلك فى مقعد واحد ، ولا يفترقان فيما قسم الله عز وجل لهما فى ذلك من رزق ، وساقه إليهما من فضل ، فهو بينهما بالسواء ، كما الكلفة عليهما فيما يتوليانه من التعليم سواء . شهد . انتهى » .

● أحكام الشركة :

« قال محمد بن عبد الله : ويجوز للشريكين على التعليم أن يتراضيا على أن يجلس أحدهما على الصبيان شهرا ، ويجلس الآخر شهرا آخر، إذا كان إنما تراضيا على ذلك بعد عقد الشركة ، وإن كانا عقدا شركتهما على هذا فلا خير فيه . انتهى » .

« ولا يشبهان الصانعين فى مثل هذا ، فالصانعان لا يجوز ذلك بينهما على حال ، من قبل أن الصانعين إذا كان أحدهما شهرا والآخر شهرا ، ربما ربح أحدهما فى شهر أكثر مما كسبه صاحبه ، وإنما يعملان فى كسب مستقبل ، والمعلمان ليسا كذلك ، إنما يجلسان على الصبيان خراجهم واحد فى كل شهر ، قد عرفوا ذلك ، وعرفوا كم هو ، وما هو فإنما يجلسان لتقاضى ما يعرفان بعد ، وهما بمنزلة الرجلين ويكون لهما غنم ، متراضيان على أن يرعاها كل واحد منهما شهرا فلا بأس به كذلك . رواه ابن حبيب عن مطرف وابن الماجشون » .

٥ – عقد إجارة مؤدب

« استأجر فلان فلانا المعلم ليعلم ابنه فلانا الخط والهجاء والقرآن ، ظاهرا أو نظرا عاما ، وله كذا بكذا وكذا ، فقبضهما فلان ، مقدما ، أو مقسطة على شهور العام ، وشرع المعلم فلان فى تعليم فلان ، وعليه فى ذلك بذل النصيحة والاجتهاد ، بعد أن وقف على مقدار نباهته ، ثم نكمل العقد . انتهى » .

٦ – أحكام فقهية

« ويجوز الإجازة على تعليم القرآن دون ضرب أجل ، ويجوز أكثر من سنة ، ويجوز على بعض أجزاء القرآن ، ولا يجوز ضرب أجل إلا فيما يعرف أنه يفرغ فيه مما شرط ، ولا تجب الحذقة إلا بشرط أو عرف جار على أجزاء معلومة . وقيل لا حذقة إلا فى جميع القرآن ، وهى غير مقدرة ، وإنما هى على قدر غناء والد الصبى وفقره ، فإن شرط المؤدب فلابد من تقديرها ، وإلا لم تجز الإجازة . وليس للأب إخراج ابنه إذا قرب من الحذقة ، فإن أخرجه ، فإن قد قرب منها جدا وجبت عليه الحذقة ، وإن كان بخلاف ذلك فأدخله عند مؤدب آخر فلكل واحد منهما بقدر ما علم .

« وتنفسخ الإجارة بموت الصبى ، وكذلك فى الظئر . وللمؤدب والإمام أن يغيب فى حوائجه ، وتفقد ضيعته الجمعة ونحوها ، ولا يحط لذلك من الأجر شيئا ، وكذلك إن مرض أياما يسيرة ، ويحط من الأجرة لمرض الصبى بقدره .

« وكره **مالك** الأجرة على تعليم الفقه والنحو والفرائض ، كان فى ذلك صحيحا أو سقيما ، وكذلك عنده بيع كتبها ، وأجاز **ابن حبيب** تعليم الشعر إذا لم يكن فيه هجاء ولا ذكر الخمر ، وأيام العرب والرسائل وغير ذلك . انتهى » .

٧ – وقف الكتب على المسجد لصالح الطلاب

(مأخوذة من المصدر السابق نفسه)

« وفى الكتاب تقول : كتاب الجامع الصحيح للبخارى ، أو مسلم ، أو الموطأ ، أو الكذا ، لتعار لطلبة العلم ، للنسخ والمقابلة والدرس ، وفى المصحف : مصحف جامع للقرآن ، صفته كذا ، وخطه كذا ، بحليته وغلافته ، وان كانت ربعة ذكرتها ... . » .

٨ – رأى القاضى أبى بكر بن العربى[1] فى التعليم

● **التعليم فى المشرق :**

« وللقوم فى التعليم سيرة بديعة ، وهى أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب ، فإذا عبر المكتب اخذوه بتعلم الخط والحساب والعربية ، فإذا حذقه كله ، أو حذق منه ما قدر له ، خرج إلى المقرىء فلقنه كتاب الله فحفظ منه كل يوم ربع حزب ، أو نصفه ، أو حزبا ، حتى إذا حفظ القرآن خرج إلى ما شاء الله من تعليم أو تركه » .

« ومنهم ، وهم الأكثر ، من يؤخر حفظ القرآن ، ويتعلم الفقه والحديث وما شاء الله ، فربما كان إماما وهو لا يحفظه . وما رأيت بعينى إماما يحفظ القرآن ، ولا رأيت فقيها يحفظه إلا اثنين ، ذلك لتعلموا أن المقصود حدوده لا حروفه . وعلقت القلوب اليوم بالحروف وضيعوا الحدود خلافا لأمر رسول الله ﷺ ، لكنه إنفاذ لقدر الله ، وتحقيق لوعد رسول الله ، ﷺ ، وتبيين لنبوته ، وعضد لمعجزته » !

(أحكام القرآن ، جـ ٢ ص ٢٩١ ، طبعة مصر ١٣٤٢ – ١٣٤٤هـ) .

● **التعليم فى الأندلس :**

« ... فصار **الصبى** عندهم إذا عقل فإن سلكوا به أمثل طريقة لهم علموه **كتاب الله** ، فإذا حذقه نقلوه إلى الأدب ، فإذا نهض منه حفظوه الموطأ ، فإذا لقنه نقلوه إلى **المدونة** ، ثم ينقلونه إلى **وثائق ابن العطار** ، ثم يختمون له **بأحكم ابن سهل** ، فقال قال فلان الطليطلى وفلان المجريطى ، **وابن مغيث** – لا أغاث الله نداه ، ولا أنوله رجاه– فيرجع القهقرى دائما إلى الوراء ، على أمه الهاوية ! » .

● **الطريقة المثلى :**

« والذى يجب على الولى فى الصبى إذا كان أبا ، أو وصيا ، أو حاضنا ، أو الإمام ، إذا عقل أن يلقنه **الإيمان** ، ويعلمه **الكتابة والحساب** ، ويحفظه **أشعار العرب** ، العاربة ،

---

(١) من كبار علماء الأندلس ، توفى عام ٥٤٣هـ – ١١٤٨م ، وقد أضفنا النص لأنه لم يكن معروفا فى اللحظة التى قام فيها رييرا بأبحاثه ، ولو عرفه لأضافه حتما . « المترجم » .

ثم يحفظه إذا استقل واستوفى **العشر الثانى من كتاب الله** ، وهو أمر وسط متساو بين أهل المشرق والمغرب . ثم يحفظ **أصول سنن الرسول** ، وهى نحو من ألفى حديث ، فى الأبواب التى نظمها البخارى ومسلم ، هى عماد الدين . ويأخذ بعد ذلك نفسه **بعلوم القرآن** ومعانى كلماته ، ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب فالباطل فيه كثير ، وما الصحيح من حديث رسول الله ﷺ إلا كنقطة من بحر . وليحذر كتب الصالحين ومن ينتمى إلى الوعظ فإنهم لم يألوا فى الكذب على رسول الله ﷺ ، بقصد وبغير قصد . ولا كتاب يعول على حديثه منها إلا كتاب **ابن المبارك وأحمد بن حنبل ، وهناد بن السرى** .

« ولا يفرط فى **علم الفرائض** فإنها أصل الدين ، وهو أول ما يذهب من المسلمين ، فبالسنة يفرضها ، وبالحساب يقسمها ، ولا يخلى نفسه **عن الأنساب** ، ولا على شىء من **أصول الطب** ، وليتخذ عبارة الرؤيا أصلا ، ولا يقل : متى أحمل هذا ؟ فإنه ليس المطلوب منها الغاية فإنها لا تنالها إلا الأفراد . وإنما ينبغى لكل عاقل أن يتخصص بجزء منها ، ولا يفرد نفسه ببعض العلوم ، فيكون إنسانا فى الذى يعلم ، بهيمة فى الذى لا يعلم . ولاسيما من أقام عمره حاسبا أو نحويا فقد هلك ، فإنه بمنزلة من أراد صنعة شىء فشحذ الآلة عمره ، ثم مات قبل عمل صنعته . ولا يصغ إلى من يقول له : تكون مقصرا فى كل علم إذا فعلت هذا . والأولى لك أن تقف نفسك علم علم واحد ، فإنه قول جاهل بالعلم ، إذا أخذ المرء نفسه بهذا القانون الذى رسمناه سيعتمد على ما يراه أوكد ، ويجعل الباقى تبعا » .

(العواصم من القواصم – مخطوطة جامع الزيتونة)